

## معوقات جودة التلقي والإيصال المفاهيمي عند تلاميذ الطور المتوسط — مقاربة ميدانية إحصائية —

Obstacles to quality and knowledge among middle school students -  
a conceptual statistical approach

يزير جلول

يزير بشير

جامعة الجزائر 2

جامعة يحيى فارس الهدية

bachiryazir1991@gmail.com

ملخص: تشكل عملية جودة تلقي المتعلمين لمختلف الأنشطة البيداغوجية المقررة في المنهاج الدراسي في المنظومة التربوية الجزائرية موضعا جديرا بالدراسة والتتقيب، حيث تزداد أهمية هذه الدراسات لما تنطلق من مقاربات تجريبية لما تنقل تفاعل أطراف العملية التربوية من ميدان الحقل التربوي، و على هذا الأساس جاءت هذه المقاربة التجريبية ليقف الباحث من خلالها على معوقات جودة التعلم و ليرسم للمتبعين الآليات الكفيلة بكبح المسارات المعرقة لتطور البناء المفاهيمي لدى المتلقين في المدرسة الجزائرية.

لقد اكتشف الباحث أنّ أغلب معوقات الجودة ارتبطت تحديدا بمعوقات تقليدية ترتبط في أغلبها بعدم استثمار مختلف الإمكانيات المادية والبيداغوجية التي خطط لها القائمون على المنهاج التربوي الوطني لما توقف الفاعلون في الميدان عند نقد مختلف المقاربات الجديدة دون الانخراط الفعلي في تسخير إمكانيات التعلم المتاحة، تلك الإمكانيات المتاحة كانت ستشكل الفارق نحو تحسين جودة التلقي لدى المتعلمين لو وجدت تفاعلا تشاركيا تكامليا لدى مختلف القائمين على العملية التربوية.

**الكلمات المفتاحية:** التلقي، التعلم، التلاميذ، الكفاءات، البيداغوجيا.

### Abstract:

The quality of the learning process for learners of the various pedagogical activities planned in the curriculum of the Algerian educational system is a subject worthy of study and exploration. Experimental through which the researcher to identify obstacles to the quality of learning and to draw the followers mechanisms to curb the paths impeding the development of conceptual construction of the recipients in the Algerian school.

The researcher discovered that most of the barriers of quality were specifically associated with traditional barriers, mostly related to the lack of investment of the various material and pedagogical possibilities that were planned by those responsible for the national educational curriculum. The available information would have made the difference towards improving the quality of learning among learners if they found an integrated, participatory interaction among the different actors in the educational process.

**key words :** Receiving, learning, pupils, competencies, pedagogy.

## 1. مقدّمة:

لا يزال موضوع البحث عن جدوى المقاربات الكفيلة بتحسين جودة تلقّي المتعلّمين للمعرف و المفاهيم يعرف حضورا لافتا لدى مختلف المنشغلين بحقل التربية والتعليم حيث نقدّم هذه الورقة البحثية التي تتضمن مقاربة مفاهيمية تستند على معطيات إحصائية ميدانية.

## أ - أهداف الدراسة:

- المساهمة في تقييم السياسة التربوية الوطنية، ومرافقة عملية الإصلاح الذي لا ينبغي أن يكون بمعزل عن ما تنتجه النخب التي تبحث في الميدان لتحاكي الواقع بمستحقّات البحث التربوي على الصّاعدين الوطني والدّولي.  
- التأكيد على أنّ عملية التقييم و التقييم لا بدّ أن ترافق بدراسات ميدانية إحصائية تزود الباحثين في الميدان بمقاربات حقيقية يتمّ على أساسها مراقبة مدى نجاعة مختلف المناهج ، ومدى صلاحيتها للبيئة الوطنية للتربية.  
- الاهتمام الشّامل بكلّ التفاعلات ما بين الأطراف القائمين على العملية التربوية: المتلقّي، المعلم، المنهاج، الوسائل المادية، على أساس أنّ الفعل التربوي لن يكون إلّا في إطار المسؤولية الجماعية.

- مساهمة العلوم الاجتماعية و الإنسانية في خلق مناخ أكاديمي جاذب لتقييم مختلف المهارات خاصة في الحقل التربوي، وفسح المجال لاعتماد معايير الجودة و الإتقان كأساسات للنهوض بالمؤسسات المسؤولة عن التربية و الثقافة والفكر و العلوم بوصفها الأطر المساهمة في حل إشكالات التّمية والتّقدم.

- التقليل من أزمة القطيعة بين النّخب المفكّرة و المنتجة للخبرات والمعارف والعلوم والنّخب المسيّرة المسؤولة عن التّحكم في مختلف السّياسات والخيارات الوطنية في كلّ القطاعات، وذلك من أجل استثمار مخرجات وآليات البحث العلمي.

## ب - إشكالية الدّراسة:

على أيّ أساس يتمّ تقييم مخرجات المقاربة البيداغوجية التي اعتمدها الخبراء في ميدان التربية الوطنية؟، وماهي العراقيل التي تقلّل من فاعلية الجودة والإتقان في بناء واستثمار مختلف التعلّقات؟، وما هي المقاربات الكفيلة بتمكين المتعلّمين من استثمار قدرات الذّكاء في حلّ مشكلات تعلّمية لها أبعاد مستقبلية علميا ومهنيًا؟، وما هي مسؤولية الباحثين في مختلف المخابر والجامعات في مرافقة مختلف الاصلاحات والتّحديثات اللاّزمة فيما يتاح لديهم من مستجدّات بحثية ووطنية وعالمية؟

## 2 . الدّراسة:

درجت اهتمامات جمهور المتابعين لشؤون المدرسة من أولياء ومسؤولين لتتبع التّقدم الذي يحرزهُ الطّفل من معارف بالموازاة مع تطوّر قدراته الجسمانية الاعتيادية، لما يحرز تقدّمًا في القدرة على القراءة والكتابة و الحساب والمعلومات الجغرافية والتاريخ وتتّحسن طباعه وعاداته في التّهيؤ والاستعداد للتعامل مع للأشياء وفي النظام والمواظبة، ولم تتغيّر هذه النّظرة للأهداف العامّة للمدرسة وما ينتظر من الطّفل إلى غاية عصر المفكّر المتوّر "جون ديوي"<sup>1</sup> نهاية القرن التاسع عشر ميلادي<sup>2</sup>.

لقد نادى جون آنذاك ببث حركة جديدة في التّربية تكون واسعة جدا وذات طابع اجتماعي لسدّ متطلبات وحاجات المجتمع الجديد الأخذ في التّطوّر في نمط مشابه للتغيرات المتسارعة التي تحدث في الصّناعة

والتجارة وقد وصلت أرقى نظريات الفكر التربوي لهذا المستوى من التنظير في النصف الأول من القرن العشرين<sup>3</sup>، فما مدى تطوّر اهتمامات القائمين عندنا على تطوير الحقل التربوي الوطني؟ وما مدى نجاعة السياسات الوطنية التربوية؟ وما مدى فاعلية تصحيح مسارات تكريس الجودة؟.

لا يمكن في حقيقة الوضع الرجوع إلى زمن موغل في القدم لتتبع مسارات الانعتاق من الأمية التربوية والفكرية التي كانت الجزائر عرضة لها طيلة الاستعمار الحديث الذي كان أخطر ما استهدفه من مقومات هو القضاء على المدرسة الوطنية ذات البعد القومي، وذلك بهدف القضاء على الميلاد الصحيح للناشئة، خاصة وأن انتشار المدارس قبل مجيء الاحتلال يسود الأحياء في المدن و القرى والأرياف والجلال النائية وكانت وضعية التعليم محلّ إعجاب كلّ من زاروا الجزائر العثمانية، وانبهروا من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكّان<sup>4</sup>.

وقد كان أول تحدّي يواجه القائمين على الشأن التربوي بعد الاستقلال هو التأسيس في مرحلة أولى لمدرسة تكون مبنية في أساسها لأجل إعادة بعث الرّبط القيمي العميق لمكونات العملية التربوية من برامج ومحتويات وأهداف في المدرسة الأساسية بانتماء الدولة والشعب للمقومات التي كان قد استهدفها الاستعمار.

وإذا كان المجال لا يسع في هذا البحث لإعادة استعراض مدى نجاعة السياسة الوطنية للمدرسة الأساسية التي كتب لها أن تمثّل السبيل المأمول في نجاح المشروع الوطني التربوي المتكامل طيلة أكثر من ربع قرن من الزمن بداية من 1976م، ورغم نجاعة هذه السياسة مبدئياً في خلق مدرسة وطنية متكاملة الأهداف إلا أنّ عدم تصحيح الاختلالات المرافقة لسيرورتها، وعدم إخضاعها للتقييم العلمي الذي كان من المفروض أن يرافق السياسة التطبيقية لها جعلها غير جدية في مواكبة التطوّر السريع الحاصل في تطوّر السياسات التعليمية لمختلف الدول التي جعلت من إصلاح مناهجها وسياساتها التربوية من صميم سياساتها الوطنية.

و مع مطلع القرن الواحد والعشرين شرعت الجزائر في إصلاح المنظومة التربوية بعد أن استتبّت الأوضاع الأمنية والسياسية والاجتماعية فكان الهدف واضحاً في أن عملية الإصلاح كانت تتطلب تغييراً جذرياً في المناهج والآليات التي تبنى عليها عملية تزويد المتعلّمين بمعارف ومناهج تواكب التطوّر الحاصل في مخرجات علوم التربية وعلوم المناهج وغائيتها في بناء مدرسة تشاركية تنتج الذكاء وتتيح للمتعلّم استعمال مهارات أدائية تمكّنه من حل مشكلات ووضعيات عبر اعتماد مقارنة تستهدف النجاعة الكيفية لا الكمية، فما هي أطر الإصلاح التربوي التي تمّ استحداثها؟ وما مدى نجاح بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات في إنتاج ملمح التلميذ المأمول تخريجه في واقع الحقل التربوي؟.

#### أ - التشاركية التربوية في المقاربة بالكفاءات في المنهاج الجزائري:

تسعى المقاربة بالكفاءات في النظام التربوي الجزائري إلى تنمية إمكانيات المتعلّم في تعبئة مجموعة من الموارد المدمجة من أجل حلّ وضعية مشكلة تنتمي إلى عائلة من الوضعيات، وتعتبر هذه المقاربة تطويراً لما جاءت به المقاربة بالأهداف التي كانت تتأسّس على السلوكيات التي تمّ بناؤها والقابلة للملاحظة بهدف تمهيتها عند المتعلّم، إلا أنّها وبخلاف المقاربة الجديدة تكون منفصلة عن بعضها البعض<sup>5</sup>.

وتم التركيز في بناء العملية التربوية على الكفاءة التي عنى بها المشرع بأنها: «امتلاك لمجموعة آليات أدائية وقدرات تظهر عندما تمارس في وضعيات مندمجة لموارد تستعمل في حلّ مشكلة»<sup>6</sup>.

ب - الدراسة الميدانية:

### 01 - التعريف بمكونات وأهداف الدراسة:

أ - العينة: تلاميذ الطّور المتوسّط في نهاية الطّور ، السنة الرابعة متوسّط، ويبلغ عدد التلاميذ 230 تلميذاً، موزعين على 5 أفواج تربوية، والمؤسسة مزوّدة بقاعة إعلام آلي ومكتبة مدرسية ومدّج، وملعب حديث التكوين، وقاعة رياضية كبرى غير صالحة للنشاطات.

ب - الهدف من الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

- تقييم مدى نجاعة العملية التربوية للمقاربة في الكفاءات الجيل الثاني.

- تتبّع الاختلالات الممكن تسجيلها عبر تتبّع مختلف الأداءات لدى كل أطراف العملية التربوية

الرئيسيين: المتعلّم، المعلم، المنهاج.

- مشاركة المتلقين " التلاميذ"، في التعريف بمثبّطات التلقّي المعرفي، وعوائق التّواصل المفاهيمي في

هذه المقاربة البنائية.

- التحقّق من مدى صلاحية المنهاج وتوافقه مع البيئة الحضرية والتكوين الاجتماعي لمختلف جهات

القطر الوطني .

- التمكن من تقييم إمكانيات وقدرات المرافق "الأستاذ"، في إحراره لسلامة التواصل بينه وبين المتلقّي في

إطار ما يتطلّب المنهاج من مضامين تربوية و كفاءات إجرائية وسلوكية قيّمة.

### 02 - البيئة الحضرية:

تمت متابعة هذه الدراسة الميدانية في بلدية هي مقر الدائرة، وهي عبارة عن مدينة متوسطة الكثافة

يفوق تعداد سكانها 40000 نسمة، تبعد عن مقر الولاية ب 40 كم، وتبعد الولاية عن مقر العاصمة ب حوالي

300 كم ، وتحتوي المدينة محلّ الدراسة على عدد من المرافق الحضرية مثل مكتبة المطالعة العمومية والمركز

الثقافي، ومقر للكشافة ، وكتاتيب، وجمعيات ثقافية و رياضية، وجمعيات أخرى ذات طابع اجتماعي كالهلال

الأحمر الجزائري، وجمعيات<sup>7</sup> حماية ذوي الاحتياجات الخاصة.

### 03 . حيثيات الدراسة:

#### 01 استبيان يخصّ المتلقّي " التلميذ ":

مضمون الاستبيان	نعم	لا	أحيانا
هل تجد في نفسك رغبة للتعلّم؟	220	10	/
هل تجد الدروس كثيفة في محتوياتها؟	107	80	53
هل تجد صعوبة في التواصل المفاهيمي مع الأستاذ؟	96	99	35
هل لديك مكتسبات قبلية تساعدك على الفهم؟	133	77	20

ترتبط الرغبة في التعلّم بمختلف المحفّزات التي تنطلق أساساً من محيط الأسرة والمجتمع ككيان مرحليّ أولي حتمي يؤسّس لتحفيز وتنمية قدرات الطّفل المعرفية والإدراكية في حالة كانت البيئة الاجتماعية تعين على ذلك، أو كبحها و تثبّتها إذا كان الوسط الاجتماعي والأسري غير مهياً بما يكفي، إذ لا ينبغي قياس الرغبة في التعلّم بما يجده التلميذ في المؤسسة التعليمية فحسب لأنّ مناقشة مسألة ميول الطّفل إلى الرغبة في المعرفة من عدمها تعتبر في حدّ ذاتها عملية معقّدة لازالت الدّراسات بشأنها محلّ التّقيب والبحث والتّجريب.

وإذا كان مجال البحث لا يتيح لنا مناقشة دور الأسرة<sup>8</sup> الخطير في تنشئة التلميذ سلوكياً واجتماعياً ومعرفياً عن طريق فسح المجال لتراكم المهارات ولو بطريقة غير مضبوطة، فإنّ المدرسة لازالت هي المسئول الأول بصفة رسمية عن خلق عوامل الجذب والتّحفيز لدى التلميذ، من خلال ربط المضامين و ما يرتبط بها من إشكاليات بما يتناسب مع قدراته العقلية والدّهنية وبما يقوي جاذبية المعارف لاهتمام وفضول التلميذ، هذا من جهة المعارف والمناهج، أمّا من جانب المرافق فإنّه ينبغي للمعلّم أن يوازي من تطوير المهارات العلمية لديه بالتعرّف على ما استحدث من نظريات ومكتشفات علم نفس الطفل وبيداغوجيا الرّعاية النفسيّة<sup>9</sup> وهي المعارف التي تعرف تقدّماً ملحوظاً يساهم في مرافقة ومعالجة مختلف الاختلالات التي يمكن أن تصدم أيّ عملية إصلاح أو تحديث للمناهج والمقاربات التّعليميّة.

إنّ وجود فئة قليلة من العينة تفقد الجاذبية في الانتظام المعرفي في المؤسسة وإن كان هذا المؤشّر لا ينبئ بخطر آني فإننا يمكن أن نعتبره علامة تستوجب المتابعة والاهتمام من أجل تقييم ومراقبة مدى جاذبية المنهاج سواء من حيث الشّكل أو من حيث ما يتضمّنه من محتويات خاصّة في المواد الأدبية والجمالية التي تستهدف كفاءات قيمية وسلوكية ووجدانية وجمالية بالأساس.

مضمون الاستبيان	نعم	لا	أحيانا
هل تفضّل دراسة كل المواد ؟	28	151	49
هل تفضّل دراسة المواد الأدبية ؟	43	/	/
هل تفضّل دراسة المواد العلمية والتكنولوجية ؟	157	/	/
هل تجد سهولة في فهم الدروس في موادك المفضّلة ؟	91	105	34
هل تتمكّن من إنجاز الوضعية الإدماجية ؟	110	72	48

## 02 - استبيان يخصّ المنهاج:

لم يتغير ميل التلاميذ للمواد العلمية والرياضية ذات الطّابع الصّوري التّجريبي، وقد يكون ذلك بسبب كثافة المضمون المعرفي والمفاهيمي للمواد ذات الطّابع الأدبي والقيمي والتي يبدوا أن النظرة التّقليدية في استيعاب المعارف لدى ذاكرة التّلاميذ لازالت تسيطر فيها على العملية التربوية، وهو ما يسبّب إرهاقا لقدرات التّلاميذ واستنزافا لا يكرّس لدى التلميذ الكفاءة في معالجة وضعيات مشكلة قد تواجهه في حقل المؤسسة، أو في أيّ وسط يتطلّب حضور حلول معرفية طارئة ممّا يزيد من نفور التلميذ منها نحو ما يتطلّب الجهد النّظري المجرد هروبا من ما يرهق ذاكرته.

إن ميل التلاميذ للمواد ذات الطابع العلمي والتقني والتجريدي له ما يبرره مجتمعيًا، في ضلّ قصور في مناحي الثقافة لدى العائلات التي لازلت تتأثر بمزيد من البراغماتية النفعية القائمة على استعمال التلميذ كمستودع للعلم و المعرفة والذكاء من أجل أهداف مهنية مادية بحتة، وهي نظرة تكوّن بناء المادة على حساب الروح والقيم في وجدان ونفسية الطفل، وهي الرؤية التي تمقتها حتى المذاهب التربوية الأجنبية كالمدرسة التربوية الانجليزية والصينية واليابانية، التي تجاوزت هذه النظرة الإقصائية غير المعيارية لمختلف العلوم و المعارف، بل وعلى العكس من ذلك كانت تعتمد كليًا على التنشئة الأدبية والروحية وتقرب كذلك من الجانب القيمي حسب انتماء كل حضارة.

إن مناط العملية التربوية لم يرهق قدرة الاستيعاب لدى التلميذ فحسب بل أدى إلى تهميش استغلال قدرة التلميذ المبنية على أساس الذكاء في التعامل مع الوضعية الإدماجية التي تتبني على استثمار الموارد المعرفية والمكتسبات السابقة القبلية للمتعلم، إذ تمكّنه من إدماج مهاراته ومكتسباته السابقة التي تناولها في إطار تنمية كفاءاته القاعدية سابقًا، وهي وضعية شبيهة بالوضعية المعيشية أو المهنية التي يتم بناؤها بعد الانتهاء من معالجة الوضعيات التعليمية التي يقتضيها الميدان أو الوحدة الدراسية.

تتغذى قدرات التلميذ ومكاسبه المعرفية من موارد متعدّدة والتي يكون الكتاب أحد أهم الموارد المتاحة والمفروضة أمام التلميذ، وإذا كانت قد أنجزت لمرافقة المتعلم في بناء معارفه وتنمية مهاراته فإنها زوّدتة بإشكاليات تزيد من غزارة الذكاء وتزيد من حدة الانتباه لديه، وتحجز سندات توضيحية تغذي فضولهم المعرفي، وتزوّد بمؤسّسات المعرفة، وتمثّل له سندات إيضاح وتطبيق.

لكنّها وفي الوقت نفسه، وإذا لم تستثر مضامينها بالشكل المطلوب من طرف المرافق الذي هو المدرّس فإنّها قد تنحصر في معارف جامدة كامنة في النص أو الصورة أو المرفق أو الجدول البياني أو الإحصائي وتبقى جامدة وحبسية في الإطار الذي وضعت فيه، ذلك أنّ فشل المدرّس في استثارة انتباه التلميذ وخلق جاذبية الفضول للمعرفة المتضمّنة في السندات لا يعتبر فشلًا لمهندس المعرفة داخل الفصل التّربوي فحسب، بل قد يعتبر فشلًا ذريعًا للعملية التربوية برمّتها خاصة في ضلّ وجود أخطار أخرى كغياب آخر لموارد المكتسبات القبلية في المكتبات البلدية والمنزلية والمدرسية .

إنّ عدم الاعتماد الكلي للتلاميذ على الكتاب حسب ما أفاد به الاستبيان لا يدلّ بالضرورة على الغياب المادي له، بل قد يدلّ على غياب الارتباط الايجابي الذي كان من المفروض أن يساهم في تكريسه المشرفون على اختيار مضامين المفاهيم الواردة فيه، ذلك لأنّها الموارد المتفق على تسقيفها بيداغوجيا ونفسيًا من طرف المختصين والمشرفين على تنظيم الأطوار المعرفية التي تتناسب وقدرة التلميذ الجسمانية والعقلية والوجدانية.

إنّ توجّه المتعلم وتعامله مع المناهج والمضامين لا بدّ أن ينبني بالفعل على أساس تشاركية وتكاملية في الفعل التربوي، والتي من شأنها أن تمكّنه من خلق مجهود ذو كفاءة نابعة من قدرته على استثمار مكتسباته مع ما يتاح له من إشكاليات وسندات بصرية وسمعية وإجرائية أو تجريبية في عملية لا تتقاطع أبدا مع الطرائق السابقة التي كانت تعتمد المقاربة بالمضامين أو بالأهداف، فقد أفادت آخر الدراسات البيداغوجية والنفسية

- لكيفيات تعامل المتلقين مع التعلّات إلى أنّ التلميذ يتمكّن من التحصيل والتكيّف مع المعارف والمهارات حسب وضعية التعلّم على النحو الآتي:
- يستوعب المتعلّم 10% من ما يقرأ.
  - ويستوعب 20% من ما يسمع.
  - ويستوعب 30% من ما يرى.
  - ويستوعب 50% من ما يسمع ويرى.
  - ويستوعب 70% من ما يقوله.
  - ويستوعب 90% من ما ينجزه وينتجه بنفسه<sup>10</sup>.

مضمون الاستبيان	نعم	لا	أحيانا
هل تجد المؤسسة مريحة ونظيفة؟	171	24	35
هل تجد إنارة و تدفئة المؤسسة تعينك على الدراسة والتعلّم؟	196	16	18
هل تجد الملعب المدرسي يساعدك على ممارسة رياضتك المفضّلة؟	156	46	28

#### يخصّ الوضعية المادية للمؤسسة:

إنّ توفير مستلزمات التعلّم المادية يحتاج إلى قرارات سياسية سيادية تخضع مباشرة لما يتطلّبه التخطيط التربوي، إذ أن المؤسسة التربوية وفي أيّ مشروع تنموي تعتبر مستودعا لإنتاج الذكاء والجودة و ينبغي أن تكون مرافقها جاذبة للإبداع والانتاج والتفاعل المعرفي، فالاستبيان بيّن أنّ فئة قليلة من التلاميذ لا يمكن اعتبارها استثناء بطبيعة الحال - رغم محدودية تعدادها مقارنة بخيارات باقي التلاميذ - ترى بأنّ المؤسسة لا تحتوي على عناصر جاذبة للاهتمام ولا تساعد على التعلّم رغم عدم توضيح التلاميذ للسبب إلاّ أنّ مرافق المدرسة ومنشآتها لأبد أنّ تواكب التطوّر الماديّ في الوسائل والمرافق كالمخابر والورشات و الملاعب بما يضمن للتلميذ ارتباطا وجدانيا يحيي فيه إيقاظا للشعور بالانتماء لمجتمع المعرفة في إطاره الرّسمي الذي يجب أن يكون وفق ما تمليه السياسة الوطنية في مجال التنمية التربوية والتعليمية.

مضمون الاستبيان	نعم	لا	أحيانا
هل تجد القسم مريحا من حيث تعداد التلاميذ ؟	84	112	34
هل ترى بأنّ الاكتظاظ يعرقل قدرتك على الفهم و الاستيعاب ؟	91	103	36
هل تؤدّن نشاطات لاصقيّة خارج المؤسسة ؟	188	22	20
هل توجد لديكم نوادي علمية أو ثقافية في المؤسسة ؟	46	184	/
هل تستعمل مراجع و كتب مكتبة المؤسسة ؟	73	127	30

#### 04 - استبيان يخصّ الوضعية التربوية للمؤسسة :

لازالت المشاكل التقليدية تشكّل خطرا محدقا بالعملية التربوية، إذ أنّ مشكل الاكتظاظ يرتبط في حقيقة الوضع بعاملين يخرجان عن اختصاص الوزارة الوصيّة فالإكتظاظ يخضع لجانب اجتماعي بحت يتمثّل في ارتفاع الرّيادة الطّبيعية للسكان على اثر استقرار عديد الطّروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في بداية

الألفية الزاهنة وتحسن ظروف المعيشة لأغلب العائلات الجزائرية، كما ينتج الاكتظاظ كذلك عن التوزيع غير النظامي للسكان فالنزوح الريفي لازال يشكل خطرا محققا باعتدال التوزيع الديمغرافي للمدينة ويضيف لها أعباء مادية وتنموية معيقة لمختلف الخيارات الاقتصادية والتدابير الاجتماعية.

إنّ الاكتظاظ في الفصل التربوي يساهم من جهة في عدم جدية تشاركية العملية التربوية بين المتعلم والمعلم وبين المتعلمين فيما بينهم من جهة أخرى، كما يصعب من عمليتي التقويم والمعالجة البيداغوجية ويجعلها عملا مرهقا معيقا لتتبع مسار بناء التعلّات ومدى تحقيقها للكفاءات المستهدفة .

إنّ نتيجة الاستبيان تفيد بوجود الاكتظاظ بما يقارب 40% و هو خطر لا بدّ أن يستشعر من طرف المشرفين على هذا القطاع، إذ لم تفلح مجهودات الدولة المعتبرة في السنوات الأخيرة في هذا المجال في القضاء على هذا المشكل الذي أربك العملية برمتها وشوّش عملية تقويم و تقييم المقاربة الجديدة لما أضحي الاكتظاظ يشكّل عبئا إضافيا يضاف إلى مختلف الصّعوبات الأخرى ويقفّل من فرص بلوغ الجودة المراد تحقيقها من طرف مسؤولي التربوي والتّعليمي.

وإذا كانت المقاربة الجديدة تقوم على استثمار كل الموارد المتاحة داخل الفصل التعلّمي كالكتاب المدرسي ومختلف السّنّدات ووسائل التّجريب والإيضاح فإنّ النّشاطات اللّاصفيّة تعتبر نشاطا مكملّا يضاف لتحسين بناء المعرفة في جانبها الميداني لما ينتقل المتعلم بمعارفه النظرية إلى الميدان كي يجسّدها على أرض الواقع، وهو ما يترك أثرا عمليا في ذاكرة ووجدان التلميذ ويساعد على تحسين ملمح تخرّجه من الطور الذي ينتظم للدراسة فيه.

إنّ نتيجة الاستبيان تفيد بأنّ النّشاطات اللّاصفيّة تنعدم بما يقارب نسبة 90% و هو الأمر الذي يمكن أن نرجعه لمشكلة الاكتظاظ التي أشرنا إليها سابقا بالإضافة إلى ضعف روح المبادرة لدى المدرّسين ، والتي قد تعود إلى مشاكل بيروقراطية بحتة، كصعوبة استغلال الموارد المالية المتاحة وتكلفة الخرجات العلمية الميدانية، وضعف تعاون مسؤولي القطاعات المستقبلية للمتعلّمين، إلى غيرها من المشاكل التي جعلت تلك الأنشطة المهمة عملا إضافيا لا يثير اهتمام القائمين على العملية التربوية.

و إذا كانت النّشاطات اللّاصفيّة عملا مكملّا يحسّن من جودة التعليم ويزيد من فاعليته ، فإنّ النوادي العلمية والتربوية والثّقافية والرياضية هي الأخرى تعتبر مجالا خصبا لتنمية وصل وتطبيق وتنفيذ مختلف المهارات التعليمية و التربوية، ذلك أنّها تشكّل للمتعلّم فضاء حرّا غير مقيد بضوابط منهجية تحدّ من حرية المبادرة والإبداع والتّجريب والتنفيذ فتتّمي قدرات المتعلّم، و تمكّنه من استغلال مقدّرات الذّكاء لديه.

إنّ هذه النوادي و بالإضافة إلى دورها هذا فإنّها تعتبر متنقّسا تربويا يساعد المتعلّم على بذل طاقاته فيما يختزن لديه من معارف ومهارات في مجالاتها العلمية والتقنية، فبيدأ التلميذ ببناء ملكة الاستثمار والإنتاج باكرا ، وتتعود عليها شخصيته وتتحقّق لديه كفاءات مادية تعليمية من جهة، ومن جهة أخرى تفسح النوادي الأدبية و الفنيّة للمتعلّم المجال لتذوّق جماليات الأدب و المسرح و الرّسم ومختلف الفنون ، فتتحقّق قرائحه ويعتدل مزاجه وتسموا روحه وتتحقّق لديه كفاءات قيمية خلقية تزيد من ارتباطه بالعلم والمعرفة وتبعده بمسافات فارقة



عن حالات الاكتئاب والقلق و الانحراف، وتملاً فراغه بما يعود عليه بالتفوق والنضوج الوجداني والسلوكي والعقلي.

إن نتيجة الاستبيان تفيد بقله هذه النوادي و الجمعيات وخلو المؤسسات منها بما يقارب 70 %، وهو ما يصعب من فرص الاستقرار المدرسي ويصعب من مهمة تقريب جودة المعارف من المتعلمين ، ويقلل من الارتباط العاطفي للتلميذ بالمؤسسة التربوية ويقلل من الانخراط الآمن للتلاميذ في المجتمع الثقافي العالمي خاصة في ظل الاختراق الثقافي عبر الوسائط الاعلامية والاجتماعية التي اضحت متاحة للجميع دون استثناء الجنس أو السن.

إن مهمة النوادي العلمية و الثقافية التي تكون بإشراف المؤسسة الرسمية التربوية سيقدّر لها أن تجعل الفارق واضحاً في حال ما إذا تمّ الاعتناء بها وفسح المجال فيها للمتعلّمين وتمّ تمكينهم من موارد مادية قارة تمول احتياجاتهم، فالعملية لازالت محتاجة لنصوص تنظيمية ضابطة تحتّ المسيرين على تسهيل وتنظيم الولوج إلى عالم الفنّ والتّدوق والابداع الذي شكّل فيما مضى لأهم سابقة شعلة النهضة والتّقدّم و التّفوق الحضاري.

وإذا كانت النوادي العلمية والتربوية والثقافية تشكل مكسباً تربوياً ثقافياً تعليمياً يقوم النفس ويهدّب السلوك فإنّ الكتاب المرجعي والعلمي والثقافي في مكتبة المؤسسة لازال يشكل مورداً رئيساً للمعارف والعلوم ومختلف المكتسبات خاصة في ظلّ اعتماد مختلف المقاربات الجديدة على ما يكتسبه المتعلّم من معارف مسبقة سواء في البيت أو في المكتبة العمومية أو مكتبة المؤسسة أو داخل الفصل الدراسي ، فبمراعاة هذه العناصر نجد أنّ استكمال محفّزات العملية التربوية باتت عملية معقّدة الجوانب والتي يكون الكتاب المرجعي أحد أهم محفّزات التحصيل واكتساب المهارات وتنمية القدرات المعرفية والمفاهيمية، فما مدى اعتماد المتعلّمين على الكتاب المرجعي كوسيلة مغذّية للفكر والطموح المعرفي والثقافي؟ وما مدى نجاح المرافقين لعملية المطالعة في ترسيخه كقيمة تربوية مضافة لعملية التعلّم واكتساب مختلف المهارات؟.

إنّ نتائج الاستبيان تفيد بقصور في ربط الناشئة بالكتاب المعرفي والكتاب المرجعي وقد يعود السبب في ذلك إلى ضعف التّوجيه المدرسي بضرورة الانخراط في المطالعة المدرسية بسبب كثافة المقرّرات الدراسية والارتباك الذي يكون مع اتّساع المضمون وهو الذي يكون قد دفع بالمعلّمين إلى إغفال الإشارة إلى ضرورة الاطّلاع على تلك المصادر نتيجة انشغالهم باستكمال مقرّراتهم في الأجل المحدّدة.

و من جهة أخرى نجد أنّ المطالعة وحسب التوزيع الزمّني الأسبوعي قد أضحت مادة خارج ذلك الإطار، وهذا في حدّ ذاته تقليل من أهميتها لدى المتعلّم وهو ما يزيد من تثبيط المدارك ويزيد من محدوديتها وارتباطها بمسألة الاسترجاع المعرفي أثناء الامتحان فقط ، ليتعارض هذا الوضع مع أهداف المقاربة بالكفاءات التي تريد أن تتجاوز نفعية وبرامغامية النجاح في الامتحان نحو القدرة على اكتساب مهارات معرفية وقيم سلوكية وأخلاقية قارة<sup>11</sup> في شخصية ومستقبل التلميذ.

وقد يكون هناك عامل آخر يثبّط من توجّه الناشئة للمكتبات وهو عدم اختصاصها وعدم ملائمتها للفئات العمرية للمتعلّمين وهو ما يعتبر هدراً للموارد المادية فيما لا يفيد المتمدرسين، وهذا الأمر يحتاج إلى توجيه

رسمي من السلطة المركزية التي يجب أن تبني خيارات الاقتناء والاختيار للمراجع والمصادر على أساس ما يملكه خبراء علم النفس وعلم البيداغوجيا.

مضمون الاستبيان	نعم	لا	أحيانا
هل تجد شرح الأستاذ للدروس كاف؟	166	56	18
هل الدروس تعتمد على الفهم؟	104	98	28
هل الواجبات كثيفة؟	139	94	27
هل يوفر لكم الأستاذ (سندات ، صور ، خرائط ، جداول)؟	89	107	34
هل يوفر الأستاذ تكنولوجيا الإعلام الآلي في الدروس؟	47	158	25
هل تقومون بتجارب علمية في المخبر و في الورشة؟	178	11	39
هل يعاملك الأستاذ بعنف أثناء الدرس؟	22	188	20
هل لديك مشاكل بيداغوجية أخرى؟	166	25	39

### 05 - استبيان يخص علاقة المتلقي بالمعلم:

يقوم عمل المدرس في استراتيجية المقاربة بالكفاءات على استتارة ملكة التساؤل والإشكال لدى التلاميذ لاستدراجهم معرفيا لوضعية الانطلاق في معالجة إشكالية ما، مع تقريب سندات الإيضاح لديهم ليتم بعدها مرافقتهم ميدانيا في معالجة وضعيات تطرحها التساؤلات المنهجية للوضعية التعلمية التي تكون مستهدفة عبر كفاءات مرحلية<sup>12</sup>، فهل تمكن المدرس من تنفيذ متطلبات هذه المقاربة في الميدان؟ وماهي معيقات هذه المقاربة لدى المدرس في الفصل الدراسي؟.

إن انتقال الأستاذ من طرائق التدريس عبر المقاربة بالأهداف و المحتويات التي كانت عملية مرهقة لم يحدث بالسهولة التي كان يتوقعها المشرفون على الانتقال منها للتدريس عبر المقاربة بالكفاءات، ذلك أن انتظام المدرسين في المقاربات السابقة جعلهم يربطون مسألة الأداء بما يقونه على مسامح التلاميذ وعلى ما يطبقونه من معارف تثري ملكة التلاميذ بالأداء الرسالي للمهنة التي يزولونها فارتسم في وجدانهم وسلوكياتهم العمل عبر الإلقاء والتلقين و التوصيل وهي الأساليب التي وإن نجحت في إغراق الملكات بالمعارف والمعلومات فإنها همشت الإبداع و استثمار الذكاء في حلّ المشكلات و لو عن غير قصد، فالمعلم ينبغي له أن يطور من مهاراته في مرافقة التلاميذ عبر مقاربة تستهدف لأن يكون التلميذ هو من يبني التعلّات<sup>13</sup> عبر مرحلية يكون الأستاذ هو المهندس الموجّه لها عبر التقريب والتوجيه والتصحيح فقط.

إن الاستبيان يوضح بما لا يدع مجالا للشك أن المتلقين مدركون أنّ الأستاذ يقوم بشرح الدروس وتمكينهم من المعلومات المعارف وهم بالفعل راضون عن تبسيطه لمختلف الإشكاليات والوضعيات ، لكن في الوقت نفسه هل يعتبر عمل الأستاذ هذا عاملا يساعد لبناء المعارف عبر اعتماد المقاربة بالكفاءات؟، إن قيام الأستاذ بالتبسيط الكلي لتفاصيل الوضعيات - وإن كان يريح التلميذ بالفعل - فإنه يقضي وفي الوقت نفسه وبصورة لا إرادية على قدراته الإبداعية، ويضع كلّ ملكاته التي تكلمنا عليها سابقا على الهامش، وبدل أن يتحوّل التلميذ

إلى عامل إنتاج وانتقاء وبناء وإبداع يتحوّل إلى بنك لتخزين معارف ومهارات وابتكارات الآخرين مع ما يصاحب العملية هذه من إرهاق لقدرات التلاميذ الاستيعابية.

إنّ استعمال تكنولوجيايات الإعلام الآلي وتقنيات التصوير والعرض يزيد في حقيقة الأمر من كبح سلبيات التّواصل بين الملقي والمتلقّي، ويختصر مسافات زمنية فارقة في وضع المتعلّمين أمام وضعيات إشكالية كانت ستكون معقّدة لو تمّ إلقاؤها بالطريقة العادية، كما يسهّل من تقريب السّنّدات التّوضيحية بما يشبع فضول واهتمام التلاميذ ويسهّل تنمية مداركهم بطريقة تريح المعلّم وتمكّنه من استغلال تكنولوجيا العصر لصالح تحسين مختلف الأداءات وترسخ قيم تقدّمية في نفوس المتعلّمين.

إنّ نتائج الاستبيان تفيد بأنّ العملية لازالت في بداياتها بسبب غياب الحجم الساعي الكافي للأنشطة السّمعية البصرية التي تستهلك زمتنا قد لا يتوفّر دائما، بالإضافة إلى عدم تحديد المنهاج لمتطلّبات الاعلام الآلي من عدمها وهو الذي يفسر تباين الاهتمام بهذه الوسائط بين الأساتذة وبين المؤسسات حسب الامكانيات المتاحة. و في إطار التعريف بوسائل الإيضاح لازالت المخابر تمثّل المقاربة التجريبية الوحيدة في المدرسة الجزائرية رغم ما يتطلبه المنهاج من مقاربات تجريبية في كلّ المواد تجعل المخابر والورشات و المدرجات وقاعات العرض الفضاء السليم لتطبيق مختلف التعلّقات والانتقال بها من الجانب النظري التلقيني إلى الجانب الإجرائي التّطبيقي، وهو الهدف المأمول من كلّ المرافق العملية التعلّمية سواء من الميسرين على المستوى المحلي أو من المسؤولين المركزيين.

إنّ نتائج الاستبيان تفيد بأنّ التلاميذ يقومون بأكثر من 90 % من التجارب في مادتي العلوم الطبيعية والفيزياء وقد أجاب التلاميذ بأنّها تساعد على فهم الدروس بنسبة 100%، وهو الذي يفسر جنوح التلاميذ للتعلّقات التجريبية الإجرائية وهي الملاحظة الجديرة بالاهتمام في مجال تقييم هذه المقاربة.

### 03 . مخرجات الموضوع « مقترحات »:

بعد هذه المقاربة الميدانية البحثية في مجال معيقات الجودة والإتقان في الطّور محلّ الدّراسة نقترح التوصيات والحلول التالية:

- تخصيص ساعة من السّلم الزّمني الأسبوعي للمطالعة الموجهة بإشراف المشرف التربوي أو المستشار أو أستاذ يخصّص للنشاط والتّوجيه.
- إعادة تنظيم المكتبة المدرسية بالكوادر التي تهیئ الكتابات المختصّة الموجهة لاستهداف الفئات العمرية المقصودة بعينها ، بالإضافة إلى تعيين الزمن الساعي للمطالعة ضمن التّوزيع الزّمني الرّسمي.
- تخصيص ميزانية مستقلة لتنشيط النوادي العلمية والأدبية بصيغة تربوية ، لتنمية تطبيقات الذكاء والمساهمة في تكريس محفّزات الجودة والإتقان كون المؤسسة التربوية كمستودع قومي للذكاء التّطبيقي.
- تعميم استعمال قاعات العرض وتزويدها بمختلف التقنيات والوسائط التكنولوجية والسّنّدات السّمعية والسّمعية البصرية وتضمين المنهاج بما يجعل هذه الوسائط واستعمالها ضمن صميم العملية التربوية.
- تمكين المدرّسين وكلّ الفاعلين من تجديد مستوى الأداء بما يضمن مرافقة سليمة لتطلّعات المخطّط التربوي الوطني.

- تضمين النوادي العلمية والتربوية داخل منظومة التسيير البيداغوجي كأنشطة مكمّلة لكنّها ضرورية للعوامل التي ذكرناها سابقا.
- الحث على إعادة الاعتبار للنشاطات اللاصقيّة عبر تعليمات تنظيمية متضمّنة داخل الأنشطة البيداغوجية.
- تحيين مضامين الكتب المدرسية بما يضمن تحقيق الجودة في المناهج التي تراعي وجدان التلميذ وقدراته المعرفية وميوله التي تتناسب مع فنّته العمرية.
- القضاء على المشاكل التقليدية كمشكل الاكتظاظ وتوسيع المرافق المادّية للمدرسة وتزويدها بالتجهيزات اللازمّة.

#### 4 . الهوامش والإحالات :

<sup>1</sup> ولد جون ديوي سنة 1859 م دخل جامعة " فرمونت " بالولايات المتحدة الأمريكية في عمر الخامسة عشرة ، ونال أعلى الدّرجات التي سجّلت في تلك الجامعة في موضوع الفلسفة ، نال درجة الدكتوراه عام 1884 من جامعة " جون هوبكنز " مع درجات الشّر ، ليصبح بعدها رئيسا لقسم الفلسفة والتربية وعلم النفس في جامعة " أليينيز " في شيكاغو، وهنا بدأ بثورته التربوية لما أسس مدرسة تجريبية جرب فيها نظريّاته أثارت دهشة المشتغلين في الحقل التربوي، التحق بعدها بكلية المعلمين في جامعة كولومبيا وبقي هناك حتّى اعتزاله الخدمة سنة 1930. جون ديوي ، **المدرسة والمجتمع**، تر: أحمد حين الزّحيم، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1978، ص6.

<sup>2</sup> جون ديوي، **المصدر نفسه**، ص31.

<sup>3</sup> **المصدر نفسه**، ص 32 .

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان، 1998، ج 1، ص 274.

<sup>5</sup> مجموعة باحثي، **النشرة الرّسمية للتربية الوطنية**، المديرية الفرعية للتوثيق التربوي مكتب النّشر، الجزائر، 2014، ص 15.

<sup>6</sup> **المصدر نفسه**، ص 14.

<sup>7</sup> **المصدر نفسه**، ص 15.

<sup>8</sup> لازالت الأسرة و منذ القدم هي المؤسّسة الاجتماعية المسؤولة عن تربية و تنشئة أطفالها، و هي اولى الجماعات و أهمّها تأثيرا على الطّفل، وترجع أهميّتها في أنّها هي التي يشارك ويتفاعل فيها الطّفل مع الآخرين، وهي البيئة التي يتعلّم فيها الطّفل أنماط الحياة، وتعمل على تكوين العادات والتقاليد المتفق عليها في المجتمع الذي توجد فيه، كما تتحمّل مسؤولية توفير العناية والرّعاية للطّفل ولا ينتهي دورها بتلبية حاجات الطّفل بل يمتدّ إلى تعليمه السلوك الأخلاقي و تدريبه على المهارات المختلفة و ضبط سلوكه. محمّد محمّد نعيمة، **النّضج الاجتماعي لطفل ما قبل المدرسة**، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، مصر، 2002، ص 23.

<sup>9</sup> مصطفى ناصف، **نظريات التعلّم** ، تر: علي حسين حجّاج، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت ، 1990، ص 12.

<sup>10</sup> مجموعة باحثين، المصدر السابق، ص 35.

<sup>11</sup> سعيد اسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995، ص 78.

<sup>12</sup> علي أحمد مذكور، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 230.

<sup>13</sup> حسن شحاتة، أساسيات التدريس الفعال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2004، ص 258.

#### 5. المصادر و المراجع :

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ج 1.
- جون ديوي، المدرسة و المجتمع، تر: أحمد حين الزحيم، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1978.
- حسن شحاتة، أساسيات التدريس الفعال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2004.
- مجموعة باحثين، النشرة الرسمية للتربية الوطنية، المديرية الفرعية للتوثيق التربوي مكتب النشر، الجزائر، 2014.
- محمد نعيمة، النضج الاجتماعي لطفل ما قبل المدرسة، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، مصر، 2002.
- مصطفى ناصف، نظريات التعلم، تر: علي حسين حجّاج، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990.
- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995.
- علي أحمد مذكور، مناهج التربية أسسها و تطبيقاتها، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.